

فَصَلِّ : ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالسُّنَّةُ تَفْسِرُ الْقُرْآنَ ، وَتُبَيِّنُهُ ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَتَعْبِرُ عَنْهُ ^(١) .

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ ^(٢) ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ ^(٣) .

(١) (و قد اتفق الصحابة و التابعون لهم بإحسان و سائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن و تبينه و تدل عليه و تعبر عن مجمله و أنها تفسر مجمل القرآن من الأمر و الخير) مجموع الفتاوى ٤٣٢/١٧ .

(٢) فيشمل ذلك أحاديث الآحاد والمتواتر .

(٣) فكما يجب الإيمان بنصوص القرآن كذلك يجب الإيمان بنصوص السنة , وذلك أن (الأحاديث جاءت في هذا الباب كما جاءت الآيات مع زيادة تفسير في الحديث كما أن أحاديث الأحكام تجيء موافقة لكتاب الله مع تفسيرها لمجمله ومع ما فيها من الزيادات التي لا تعارض القرآن فإن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه الكتاب والحكمة) درء التعارض ١٤٦/٢ .

فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَنْزِلُ رَبَّنَا ^(١) إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ^(٢))
كُلَّ لَيْلَةٍ ^(٣) حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ^(٤) ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ

(١) في هذا الحديث اثبات صفة النزول الإلهي إلى السماء الدنيا في آخر الليل ، وأهل السنة يشبّهون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .

وخالف المبتدعة في نزول الله إلى السماء الدنيا فأنكره المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم وحجتهم في ذلك أن النزول حركة وانتقال وهو حدث والحوادث لا تقوم إلا بحادث ، كما أنه معارض للعلو والاستواء فكيف يثبت النزول مع معارضته لذلك وأنتم تثبتون الجميع كما أن إثبات ذلك يستلزم التجسيم ، وأولوا الحديث بأنه نزول أمره ورحمته .

و أجيب : بأن الله أعلم بنفسه ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يستحقه ربه من سائر الخلق وقد أخبرنا بتزول الله مع كونه ليس كمثله شيء ولا يقاس بخلقه فهو قريب في علوه ، عال مع دنوه فلا الأرض تقله ولا السماء تظله وما ذكرتموه من لوازم باطلة ناشئة من فساد اعتقاد و بطلان تصور مع كون ذلك مخالف للسنّة ومقتضى اللغة وإجماع السلف الصالح وأما تأويلكم ذلك بتزول الأمر والرحمة أو الملك فباطل من وجوه :

أ - أن الأصل عدم الحذف .

ب - أنه قال (من يدعوني فأستجيب له) ولا يمكن نسبة ذلك لأمره أو رحمته أو ملائكته بل في ذلك من الشرك ما لا يخفى .

ت - أنه حدد لنزوله ثلث الليل الآخر ولو كان أمره أو رحمته أو ملائكته لم يحدد ذلك بثلث الليل فإنهما نازلان في كل وقت .

(٢) هي أقرب السماوات إلى الأرض .

(٣) - الجمع بين نزوله في الثلث الأخير مع اختلاف البلدان والفصول :

قال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٨/٥ : (قول المعتز إن الليل يختلف باختلاف البلدان والفصول في التقدم والتأخر والطول والقصر .

فيقال له الجواب عن هذا كالجواب عن قولك هل يخلو منه العرش أو لا يخلو منه وذلك أنه إذا جاز أنه يتزل ولا يخلو منه العرش فتقدم النزول وتأخره وطوله وقصره كذلك بناء على أن هذا نزول لا يقاس بتزول الخلق ...)

ويمكن أن يقال إن هذا الإشكال وارد على كيفية النزول وهو منهى عن الخوض فيه ، والواجب هو معرفة معنى النزول وترك الخوض في كلفه .

(٤) ورد عدة روايات :

١/ حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ : كما في هذا الحديث .

٢/ حين يمضي ثلث الليل الأول : كما في رواية مسلم رقم (٧٥٨) .

يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟). متفق عليه^(١).

٣/ إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه : في رواية مسلم رقم (٧٥٨) .

والجمع بينها :

أن (النزول أنواعا ثلاثة الأول إذا مضى ثلث الليل الأول ثم إذا انتصف وهو أبلغ ثم إذا بقى ثلث الليل وهو أبلغ الأنواع الثلاثة) مجموع الفتاوى ٤٧٠/٥ .

(١) أخرجه البخاري رقم (١٠٩٤) ، ومسلم رقم (٧٥٨) ، وقال الذهبي في العلو ٩١/١ : (أحاديث نزول الباري تعالى متواترة) .

وَقَوْلُهُ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَأْسِهِ)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٢) .
وَقَوْلُهُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَضْحَكُ اللَّهُ ^(٣) إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٤) .
وَقَوْلُهُ: ((عَجَبَ رَبَّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزْلَيْنِ ^(٥) قَطِئَيْنِ، فَيَظِلُّ يَضْحَكُ ^(٦) يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ)) ^(٧) . حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(١) من هنا إلى قوله (فرجكم قريب) فيه الكلام على إثبات الفرح والضحك والعجب لله ، وأهل السنة يشبّون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .

وأنكر هذه الصفة المعتزلة و الأشاعرة و أضراهم و أولوها بصفات مخلوقة منفصلة كما عند المعتزلة ، أو بإرادة الثواب كما عند الأشاعرة ، و شبهتهم أن في الفرح نقصاً لما فيه من النشوة و الخفة .
و الجواب : بأن ذلك مخالف للكتاب و السنة و مقتضى اللغة و إجماع السلف ، كما أن ما ذكرتموه باطل فالفرح لا يستلزم ذلك مطلقاً في حق المخلوق فمنه ما يكون فخراً و منه ما يكون خفة و فرحاً فكيف بحق الخالق الذي ليس كمثله شيء و هو السميع البصير فنصف الله بأكمل أنواعه .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٩٥٠) ، ومسلم رقم (٢٦٧٥) .

(٣) قال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٢١/٦ : (الضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال ، وإذا قُدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه ، والآخر لا يضحك قط ، كان الأول أكمل من الثاني ، ولهذا قال النبي " ينظر إليكم الرب قنطين فيظل يضحك يعلم إن فرجكم قريب فقال له أبو رزين العقيلي : يا رسول الله أويضحك الرب ، قال : نعم ، قال : لن نعدم من رب يضحك خيراً " فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلاً على إحسانه وإنعامه فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال)

(٤) أخرجه البخاري رقم (٢٦٧١) ، ومسلم رقم (١٨٩٠) .

(٥) قال ابن الأثير في النهاية ٩٨/١ : (الأزل : الشدة والضيق وقد أزل الرجل يأزل أزالاً أي صار في ضيق وجذب ، كأنه أراد من شدة يأسكم وقنوطكم) .

(٦) قال ابن القيم في الزاد ٥٨٨ /٣ : (قوله : فيظل يضحك هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته وقد وردت هذه الصفة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها) .

(٧) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، فالحديث بهذا اللفظ ضعيف ، مع أن شيخ الإسلام حسنه هنا في الواسطية ، ولعله يقصد تحسين أصل الحديث .

وقد أخرج أصل هذا الحديث أحمد في المسند رقم (١٦١٨٧) : عن أبي رزين العقيلي قال : قال رسول الله

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رَجُلَهُ [وَفِي رَوَايَةٍ : عَلَيْهَا قَدَمُهُ] ^(١) فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَتَقُولُ : قَطُّ قَطُّ)) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٢) .

صلى الله عليه وسلم : (ضحك ربنا من قنوط عبده ، وقرب غيره " قال : قلت : يا رسول الله ، أويضحك الرب عز وجل ؟ قال : " نعم " قال : لن نعدم من رب يضحك خيرا) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٨١٠) وقد كان ضعفه قبل ذلك ، وقال ابن القيم في زاد المعاد ٣ / ٥٩١ : (هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة) .

وقد وردت صفة العجب في القرآن في قوله تعالى : { بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ } [سُورَةُ الصَّافَّاتِ : ١٢] على قراءة الضم وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وحزمة والكسائي أخرجهما الحاكم بسند صحيح رقم (٣٥٦٧) ، وكذلك في السنة الصحيحة كما في البخاري رقم (٢٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل) .

و قد أنكر هذه الصفة المعتزلة و الأشاعرة و الجهمية و نحوهم و عللوا ذلك بأنه يدل على الجهل الناشئ من خفاء الأسباب و لا يوصف الله بذلك .

و أجيب : بأن الباعث لإنكارهم هو اعتقادهم المشاهدة الناشئة عند إثبات الصفات و لو قدروا الله حق قدره لأثبتوا له ما أثبتته لنفسه و أثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم مع كونه ليس كمثل شيء ، و أما علمهم لنفي التعجب فعليلة لأن العجب نوعان :

١/ نوعٌ ما ذكروا وهو ناشئ عن خفاء الأسباب و لا نشبته للخالق .

٢/ نوعٌ هو خروج الشيء عن نظائره و من هذا عجب الخالق للائق به .

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٥٦٨) ، ومسلم رقم (٢٨٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٥٦٩) ، ومسلم رقم (٢٨٤٦) .

وفي هذا النص الكلام على إثبات الرجل والقدم لله ، وأهل السنة يشنون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .

وأنه له قدمان اثنتان لقول ابن عباس رضي الله عنه كما روى ابن أبي شيبه في كتاب "العرش وما روي فيه"

(ص٧٩)، والدارمي في "رده على بشر المريسي" (ص٦٧)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب "السنة"

(٣٠١/١)، والدارقطني في "الصفات" (ص٤٩)، والحاكم في "مستدرکه" (٢/ ٢٨٢)، وغيرهم، عن عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما، قال :

"الكرسي موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره".

قال الإمام الدارمي رحمه الله : "صحيح مشهور" ، وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم

يُخرجاه" ، وقال أبو زرعة (صحيح) كما في التوحيد لابن مندة ٣ / ٣٠٩ ، وصححه الألباني كما في مختصر

العلو رقم (٣٦) .

وهذا الأثر له حكم الرفع؛ لأنه أمر غيبي، لا يقال من قبل الرأي، ولا مجال للاجتهاد فيه.

وَقَوْلُهُ: ((يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فِيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ)). متفق عليه^(١).
وَقَوْلُهُ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ^(٢) وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ))^(٣).

— وأما أهل البدع فأولوا (القدم) : بمعنى ما يقدمه الله للنار من الأشخاص الذين يستحقون دخولها , واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ } [سُورَةُ يُنُوسَ : ٢] , أي: لهم جزاء موفور وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة .

وأما (الرجل) فقالوا المراد بذلك نوع وطائفة من الخلق , و استدلوا على ذلك بحديث في البخاري رقم (٣١٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُريَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَحْنِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ) أي طائفة من جراد , وحثتهم في هذا التأويل ما تقدم من اعتقادهم أن ذلك تجسيم لله و مشابهة له بخلقه .

و الجواب عما ذكروا و أولوا :

١/ بأنه مخالف لظاهر النص فالأصل عدم الحذف و التأويل .

٢/ أنه قال حتى يضع و لم يقل حتى يلقي .

٣/ أن رواية القدم تنفي هذا التفسير للرجل و تؤكد الحقيقة , وكذا رواية الرجل تنفي التفسير الباطل للقدم و تؤكد الحقيقة .

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٠٤٥) , ومسلم رقم (٢٢٢) .

(٢) ظاهر الحديث تكليم الله لكل أحد حتى الكفار , قال شيخ الإسلام في الفتاوى ٤٨٧/٦ : (الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ يَدُلُّانِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُهُمْ تَكْلِيمَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ وَتَبْكِيَةٍ لَا تَكْلِيمَ تَقْرِيبٍ وَتَكْرِيمٍ وَرَحْمَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَنْكَرَ تَكْلِيمَهُمْ جُمْلَةً) . وانظر : ٤٣٥ / ٦ .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٦١٧٤) , ومسلم رقم (١٠١٦) .

في هذين النصين إثبات القول والصوت والكلام لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به سبحانه , وقد سبق الكلام على ذلك .

وَقَوْلُهُ ^(١) فِي رُقِيَّةِ الْمَرِيضِ: ((رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ؛ فَيَبْرَأَ)). حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ ^(٢) ،
وَقَوْلُهُ: ((أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ)). حَدِيثٌ صَحِيحٌ ^(٣)
وَقَوْلُهُ: ((وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)). حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ ^(٤) ،

(١) من هنا إلى قوله (أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ) فيه الكلام على إثبات علو الله واستواءه على العرش ، وأهل السنة يشبّهون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه ، وقد سبق الكلام على ذلك .
(٢) أخرجه أحمد رقم (٢٤٠٠٣) ، وأبو داود رقم (٣٨٩٢) ، وغيرهما ، وحسنه شيخ الإسلام هنا ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٤٢٢) .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٠٩٤) ، ومسلم رقم (١٠٦٤) .
(٤) لم أجده بهذا اللفظ ، وهو المعروف بحديث الأوعال وقد أخرجه أحمد رقم (١٧٧٠) ، أبو داود رقم (٤٧٢٣) ، والترمذي رقم (٣٣٢٠) ، وابن ماجه رقم (١٩٣) ، ولفظه عند أبي داود : (عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال " ما تسمون هذه ؟ " قالوا السحاب قال " والمزن " قالوا والمزن قال " والعنان " قالوا والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جيدا قال " هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض ؟ " قالوا لا ندري قال " إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك " حتى عد سبع سموات " ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك) ،

وحسنه شيخ الإسلام هنا في الواسطية ، وذكر في مناظرته في الواسطية أنه : (طلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة ليطعن في بعضها فعرفت مقصوده فقلت كأنك قد استعددت للطنع في حديث الأوعال حديث العباس بن عبد المطلب وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم من قول البخاري في تأريخه عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف فقلت هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم فهو مروى من طريقين مشهورين فالقدح في أحدهما لا يقدر في الآخر . فقال أليس مداره على ابن عميرة وقد قال البخاري لا يعرف له سماع من الأحنف .

فقلت قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولا إلى النبي قلت والإثبات مقدم على النفي والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف لم ينف معروفة الناس بهذا فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد كانت معرفته وإثباته مقدما على نفي

وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: ((أَيْنَ اللَّهُ؟)). قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: ((مَنْ أَنَا؟)). قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: ((أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(١).

غيره وعدم معرفته . مجموع الفتاوى ١٩٢/٣ .

وضعفه الألباني في تعليقاته على السنن .

وجاء هذا الأثر موقوفاً على ابن مسعود كما عند اللالكائي رقم (٦٥٩) , وابن خزيمة (٨٨٥/٢) , والطبراني في الكبير رقم (٨٩٨٧) , وغيرهم , وقال الذهبي في العلو : إسناده صحيح , وقال الهيثمي في المجمع عن رجال الطبراني : رجاله رجال الصحيح , وجود إسناده الألباني في مختصر العلو .

وإذا ثبت موقوفاً فله حكم الرفع .

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٣٧) .

وَقَوْلُهُ ^(١) : ((أَفْضَلُ الْإِيمَانِ ^(٢) أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ)) حَدِيثٌ حَسَنٌ ^(٣) .

وَقَوْلُهُ : ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ ^(٤) ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٥) ،
وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(٦) .

(١) من هنا إلى قوله (... عَنْقٍ رَاحِلَتِهِ)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (فيه الكلام على إثبات معية الله لخلقه ، وقربه منهم ، ونحو ذلك من الصفات ، وأهل السنة يثبتون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه ، وقد سبق الكلام على ذلك

(٢) هذا دليل على أن العلم بصفات الله جل وعلا من أفضل مقامات الإيمان بل هو أفضل مقامات الإيمان .
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٨٧٩٦) ، وحسنه شيخ الإسلام هنا في الواسطية ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٠٠٢) .

(٤) قال شيخ الإسلام في الحموية : (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ } الْحَدِيثُ . حَقٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهُوَ سَبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ قَبْلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي ؛ بَلْ هَذَا الْوَصْفُ يُثْبِتُ لِلْمَخْلُوقَاتِ . فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَنَّهُ يَنَاجِي السَّمَاءَ أَوْ يَنَاجِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَكَانَتْ السَّمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَوْقَهُ وَكَانَتْ أَيْضًا قَبْلَ وَجْهِهِ) الفتاوى ١٠٧/٥ .

(٥) أخرجه البخاري رقم (٣٩٨) ، ومسلم رقم (٥٤٧) .

(٦) أخرجه مسلم رقم (٢٧١٣) .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: ((أَيُّهَا النَّاسُ! أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

قَوْلُهُ (٢): ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ (٣)، لَا تَضَامُونَ (٤) فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٥).

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٩٥٢) ، ومسلم رقم (٢٧٠٤) . وسيأتي الكلام على صفة القرب بإذن الله .

(٢) في هذا الحديث الكلام على رؤية المؤمنين لربهم ، وأهل السنة يشبِّهون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه ، وقد سبق الكلام على ذلك .

(٣) المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ يعني: أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كروية القمر في أكمل حالاته، وهي كونه بدرًا، ولا يحجبه سحب .

(٤) وفي رواية (تضارون) أخرجه البخاري رقم (٧٤٣٩) ، ومسلم رقم (٢٩٦٨) .
وفي رواية (تضاهون) أخرجه البخاري رقم (٥٧٣) أي: لا يشبِّهه عليكم وتترتابون فيعارض بعضكم بعضا في رؤيته ، وقيل: لا تشبهونه في رؤيته بغيره من المراتب .

(٥) أخرجه البخاري رقم (٦٩٩٧) ، ومسلم رقم (٦٣٣) .

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفَرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ ^(١)؛ بَلْ هُمْ الْوَسْطُ فِي فَرْقِ الْأُمَّةِ ^(٢)؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَمِ ^(٣)؛ ^(٤) فَهُمْ وَسْطٌ ^(٥) فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ ^(٦)، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشْبِهَةِ ^(٧).

^(٨) وَهُمْ وَسْطٌ ^(٩) فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ ^(١٠) بَيْنَ الْجَبَرِيَّةِ ^(١١) وَالْقَدَرِيَّةِ ^(١٢).

- (١) هذه هي القاعدة عند أهل السنة والجماعة : (أَمَّا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ) .
- (٢) أي أن أهل السنة والجماعة هم الوسط بين الفرق والطوائف التي تنتسب لأمة الإسلام .
- (٣) أي أن أمة الإسلام هي الوسط بين الديانات غير المسلمة .
- (٤) ثم ذكر شيخ الإسلام خمسة أصول في بيان وسطية أهل السنة ، وهذا هو الأصل الأول وهو باب أسماء الله وصفاته .
- (٥) فمذهب أهل السنة والجماعة : (أَمَّا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ) .
- (٦) الجهمية: طائفة تنتسب إلى الجهم بن صفوان الترمذي، ومذهبهم نفي الأسماء والصفات .
- وقد توسَّع في هذا اللفظ حتى أصبح يُطلق على كل من نفى شيئاً من الأسماء والصفات، فهو شامل لجميع فرق النُّفَاة؛ من فلاسفة، ومعتزلة، وأشعرية، وقرامطة باطنية .
- (٧) المشبهة: ويسمَّونَ: المجسِّمة، وهم على النقيض من الجهمية في إثبات الأسماء والصفات، فقد قالوا: إن لله يداً كيد المخلوقين، وسمعا كسمعهم، وبصراً كبصرهم، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .
- (٨) هذا هو الأصل الثاني وهو باب أفعال الله .
- (٩) فمذهب أهل السنة أنهم يشبتون أفعال العباد وأنها تنسب لهم حقيقة ويحاسبون عليها ، ومع ذلك هي داخلية تحت مشيئة الله وقدرته وخلقه .
- (١٠) أي الأفعال التي يفعلها الله هل هي شاملة لأفعال العباد فيكون فعل العبد هو نفس فعل الرب وأن العباد مجبرون على أفعالهم كما هو قول الجبرية ، أم أن العبد يخلق فعل نفسه كما هو قول القدرية ؟
- أو يُقال : الأفعال التي يفعلها العبد هل تدخل في أفعال الله وتنسب لله حقيقة واختياراً كقول الجبرية ، أم تنسب للعبد حقيقة واختياراً فيكون العبد هو الذي يخلق فعل نفسه كقول القدرية ؟
- ولو كان التعبير بـ (أفعال العباد) لكان أظهر وأوضح .
- (١١) الجبرية: هم القائلون: إن العباد لا إرادة لهم ولا قدرة لهم على فعل الطاعات ولا ترك المنهيات، وهم مجبورون على فعل ذلك كله، وهم نقيض القدرية .

(٣) وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ (٤) بَيْنَ الْمُرْجَةِ (٥) وَ (٦) الْوَعِيدَةِ (٧) مِنَ الْقَدَرَةِ وَغَيْرِهِمْ .
(٨) وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ (٩) الْإِيمَانِ وَالِدِينِ (١٠) (١١) بَيْنَ الْحُرُورَةِ (١٢) وَالْمُعْتَزَلَةِ (١٣) ،

(١) القدريّة: هم المنكرون للقدر، المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، الذين قالوا: إن علم الله مستأنف ليس بقديم، وإن العباد هم الموجدون لأعمالهم .

(٢) في بعض النسخ زيادة: [وغيرهم]، وهي ليست في المخطوط، ولا (الفتاوى).

(٣) هذا هو الأصل الثالث وهو باب نصوص وعيد الله .

(٤) فمذهب أهل السنة والجماعة وسطٌ بين نفاة الوعيد من المرجئة ، وبين موجبيه من الوعيدية من القدريّة، فمن مات على كبيرة عند أهل السنة؛ فأمره مفوضٌ إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه؛ وإذا عاقبه بها؛ فإنه لا يخلد خلود الكفار، بل يخرج من النار، ويدخل الجنة.

(والتحقق أن يقال الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفاسق مشروطة بعدم التوبة لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين) مجموع الفتاوى ٤٨٢/١٢ .

وينبغي أن يعلم أن (مسألة الوعد والوعيد من أكبر مسائل العلم) . مجموع الفتاوى ٦٤٩/١١ .

(٥) المرجئة: هم القائلون: الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، والأعمال ليست من الإيمان. والكرامية منهم يقولون: إن الإيمان هو مجرد النطق باللسان، وغلاهم يقولون: هو تصديق بالقلب فقط، وإن لم ينطق بالشهادتين.

(٦) في المخطوط: [وبين].

(٧) الوعيدية: هم طوائف من الخوارج والمعتزلة والقدريّة وغيرهم يقولون بإنفاذ الوعيد، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب؛ فهو مخلد في النار، وقالوا: إن الله توعد العاصين بالنار والعذاب، وهو لا يخلف الميعاد.

(٨) هذا هو الأصل الرابع وهو باب الأسماء الدينية التي تطلق على الناس .

(٩) كلمة (أسماء) ليست في المخطوط.

(١٠) والمراد بالأسماء هنا : الأسماء الدينية ، مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق... إلخ.

والمراد بالأحكام : أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.

(١١) فمذهب أهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذين المذهبين؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً؛ كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنه كامل الإيمان؛ كالمرجئة والجهمية. وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفو الله عز وجل عنه فيدخل الجنة ابتداءً، أو يعذبه بقدر معصيته، ثم يخرج به ويدخله الجنة كما سبق، وهذا الحكم أيضاً وسط بين من يقول بخلوده في النار، وبين من يقول: إنه لا يستحق على المعصية عقاباً.

(١٢) الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية

رضي الله عنه، فزلوا، واجتمعوا بحروراء ، وهي بلد قرب الكوفة على ميلين منها ، وسُموا بذلك نسبة إليها.

(١٣) المعتزلة: هم في الصفات جهمية ينفونها، وفي القدر قدرية يقولون: أعمال العباد مخلوقة لهم، وينكرون

وَيَبِّينَ الْمُرْجَنَةَ وَالْجَهَنَّمِيَّةَ.

(١) وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) بَيْنَ الرَّافِضَةِ (٣) (٤) وَ (٥) الْخَوَارِجِ (٦) .

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويوجبون على الله الثواب والعقاب والصلاح والأصلح، ويقولون بالعدل (ويقصدون به معنى باطل) ، والمترلة بين المترلتين، ويقدمون العقل على النقل، وأصل معتقدهم باقٍ إلى اليوم، متمثل بوجه أو آخر في كل من الشيعة والزيدية والإباضية، وفيمن يُسمَّون بالعقلانيين أو العصرانيين، ويلحق بهم من سُمُّوا زوراً بالتنويريين .

(١) هذا هو الأصل الخامس وهو باب الموقف من أصحاب رسول الله ﷺ .

(٢) لعل المراد آل بيت النبي ﷺ ، أما عموم الصحابة فهم مذمومون عند الروافض وعند الخوارج ، وقد أشار إلى هذا الإشكال هراس في شرح الواسطية .

أو المراد وسطية أهل السنة بين الروافض اللذين غلوا في آل البيت وكفروا بالأصحاب ، وبين النواصب اللذين نصبوا العداء لآل البيت ، وبين الخوارج اللذين كفروا علياً ومعاوية ومن قاتل معهما من الأصحاب .
وأما أهل السنة والجماعة؛ فكانوا وسطاً بين غلو هؤلاء وتقصير أولئك، وهداهم الله إلى الاعتراف بفضل آل البيت وأصحاب نبيهم، وأنهم أكمل هذه الأمة إيماناً وإسلاماً وعلماً وحكمةً، ولكنهم لم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم؛ بل قاموا بحقوقهم، وأحبُّوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصرته الإسلام وجهادهم مع رسول الله ﷺ .

(٣) في المخطوط: [الروافض]، وكذا في (الفتاوى).

(٤) الرافضة: هم غلاة فرق الشيعة الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما تولَّى أبا بكر وعمر، فخذلوه بالكوفة كما خذلوا جده من قبل.

(٥) في المخطوط: [وبين] .

(٦) الخوارج : هم الحرورية الذين سبق التعريف بهم .

فَصْلٌ^(١): وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ^(٢)، عَلِيٌّ^(٣) عَلَى خَلْقِهِ^(٤)، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا^(٥)، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ^(٦) فِي قَوْلِهِ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سُورَةُ الْحَدِيدِ: ٤] وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنْ هَذَا لَا تُوْجِبُهُ^(٧)، اللَّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهِمِّنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رَبُّوبِيَّتِهِ.

(١) هذا الفصل في معية الله وبيان الجمع بينها وبين علو الله واستوائه على عرشه .

(٢) سبق الكلام عن صفة استواء الله عز وجل على العرش .

(٣) هذه اللفظة هي التي أثبتتها الأنصاري في طبعة الإفتاء، وقال: إنه وجدها في عدة نسخ من العقيدة الواسطية، وأثبتها كذلك زهير الشاويش في طبعته (ص ٣٥)؛ وهي المثبتة في ((الفتاوى))، بدل كلمة ((بائن)) المثبتة في طبعة الجامعة الإسلامية، والإفتاء، وطبعة دار طيبة بتعليق: عبد الله الشريف، وقد سقطت من المخطوط.

(٤) سبق الكلام عن صفة العلو لله عز وجل .

(٥) سبق الكلام عن صفة المعية لله عز وجل .

(٦) ولو كان الجمع بين الاستواء على العرش والمعية تناقضاً لما جمع بينهما في الآية .

(٧) في طبعة الجامعة الإسلامية: ((لا توجهه)). والأول أصح لأن اللغة تميزه ولكن لا توجهه .

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾، أَنَّ السَّمَاءَ تُظَلُّهُ أَوْ تُقَلُّهُ ^(١)، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ؛ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ.

(١) قوله " في السماء " (ليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء وأن السموات تحصره وتحويه فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها ؛ بل هم متفقون على أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ؛ ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .
وقد قال مالك بن أنس : إن الله فوق السماء وعلمه في كل مكان - إلى أن قال - : فمن اعتقد أن الله في جوف السماء محصور محاط به ... فهو ضال مبتدع جاهل (مجموع الفتاوى ٢٥٨/٥ ، وينظر : إبطال التأويلات لأبي يعلى ٤٧٢/٢) .

وأقرب الأقوال في المراد بمعنى "في" هنا أنه يحتمل ثلاثة أمور :
١ / أن "في" على ظاهرها بمعنى "الظرفية" ، والسماء تكون بمعنى "العلو" .
٢ / أن "في" بمعنى "على" التي تفيد الاستعلاء والفوقية ، كما في قوله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) [طه : ٧١] أي على جذوع النخل .

قال ابن تيمية في الفتاوى ١٠٦/٥ : (من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب - إن نقله عن غيره - وضال - إن اعتقده في ربه - وما سمعنا أحدا يفهم هذا من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن واحد ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله " إن الله في السماء " إن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا. وإذا كان الأمر هكذا: فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله؛ بل عند الناس " أن الله في السماء " وهو على العرش " واحد؛ إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السفلى وقد علم المسلمون أن كرسية سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه؟ وقد قال سبحانه: {وَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} وقال: {فسيروا في الأرض} بمعنى "على" ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة) .

٣ / ويمكن أن يكون المعنى (أنه فوق السماء لأن (في) بمعنى فوق قال الله تعالى : (فسيحوا في الأرض) أي : فوقها) مجموع الفتاوى ٩٠/١٦ . وهذا مقارب للوجه الثاني .

فَصْلٌ: ^(١) وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ ^(٢) الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ ^(٣) مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ الْآيَةُ ^(٤) [البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِّنْ عُنُقٍ رَّاحِلَتِهِ)) ^(٥) ^(٦).

(١) هذا الفصل في الكلام عن صفة القرب لله سبحانه وأهل السنة يشبهون هذه الصفة بنصوص الكتاب والسنة كما ذكر ذلك المؤلف ، وكذلك حكي الإجماع على إثبات هذه الصفة كما نقله شيخ الإسلام في الفتاوى ١٨١/٤ ، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٧٠ .

– واختلف أهل العلم هل القرب نوع واحد؟ أو نوعان مثل المعية (معية خاصة ومعية عامة) ؟ على قولين: القول الأول : أنه نوع واحد فقط وهو القرب الخاص والمراد به القرب من السائلين بالإجابة، والقرب من العابدين بالإثابة ، ولا يوجد قرب عام من جميع خلقه ، وهذا اختيار شيخ الإسلام واختاره ابن القيم في بعض كتبه وهو اختيار ابن إبراهيم وابن عثيمين .

وحمل أصحاب هذا القول نصوص القرب العام مثل قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) ق:١٦ ، وقوله : (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَدٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) الواقعة : ٨٣ ، حملوا القرب هنا على قرب الملائكة بدلالة السياق على ذلك ، أما أصحاب القول الثاني فحملوا هذه النصوص على قرب إحاطة الله وعلمه .

القول الثاني : أنه نوعان قرب خاص كما سبق ، وقرب عام والمراد به قرب الإحاطة والعلم ، وهذا اختيار ابن القيم في بعض كتبه مثل الفوائد واختاره السعدي .

(٢) أي الإيمان بالله .

(٣) في المخطوط والفتاوى: [قريب من خلقه].

(٤) وتمة الآية : ﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

(٥) أخرجه مسلم رقم (٢٧٠٤) بهذا اللفظ وهو من مفردات مسلم وقد تكلم عليه البعض بالشذوذ ، وأخرجه البخاري رقم (٢٨٣٠) بلفظ : (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غاباً إنه معكم إنه سميع قريب) .

(٦) (وذلك لأن الله سبحانه قريب من قلب الداعي فهو أقرب إليه من عنق راحلته ، وقربه من قلب الداعي له معنى متفق عليه بين أهل الإثبات الذين يقولون : إن الله فوق العرش ومعنى آخر فيه نزاع .

فالمنع المتفق عليه عندهم يكون بتقريبه قلب الداعي إليه كما يقرب إليه قلب الساجد ؛ كما ثبت في " الصحيح " : { أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد } فالساجد يقرب الرب إليه فيدنو قلبه من ربه وإن كان بدنه على الأرض . ومتى قرب أحد الشئيين من الآخر صار الآخر إليه قريباً بالضرورة . وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته كما أن من قرب من مكة قربت مكة منه . وقد وصف الله أنه يقرب إليه من يقربه من الملائكة والبشر فقال : { لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون } وقال : { والسابقون السابقون }

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يَنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ
سَبْحَانَهُ لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نَعْوَتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دَنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

{ أولئك المقربون } وقال تعالى : { فأما إن كان من المقربين } { فروح وريحان وجنة نعيم } وقال تعالى : { عينا يشرب بها المقربون } وقال : { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب } وقال : { ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا } .

وأما قرب الرب قربا يقوم به بفعله القائم بنفسه فهذا تنفيه الكلائية ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته . وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك وكذلك كثير من أهل الكلام . فتزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ونزوله عشية عرفة ونحو ذلك هو من هذا الباب ؛ ولهذا حد التزول بأنه إلى السماء الدنيا وكذلك تكليمه لموسى عليه السلام فإنه لو أريد مجرد تقرب الحجاج وقوام الليل إليه لم يخص نزوله بسماء الدنيا كما لم يخص ذلك في إجابة الداعي وقرب العابدين له قال تعالى : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان } . وقال : { من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا } وهذه الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه بزيادة تقربه للعبد إليه جزاء على تقربه باختياره . فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قربا إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع . فكذلك قرب الرب من قلب العابد وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به وهو المثل الأعلى ؛ وهذا أيضا لا نزاع فيه ؛ وذلك أن العبد يصير محبا لما أحب الرب مبغضا لما أبغض مواليا لمن يوالي ؛ معاديا لمن يعادي ؛ فيتحده مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه (مجموع الفتاوى ٥٠٩/٥ -

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتِبَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ ^(١) ، مُنَزَّلٌ ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ
بَدَأَ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ ^(٢) ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً ، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ .
وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ ^(٣) الْقَوْلِ بِأَنَّهُ ^(٤) حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ ^(٥) ، أَوْ عِبَارَةٌ ^(٦) ؛ بَلْ إِذَا
قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى
حَقِيقَةً ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدَأً ، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلَّغًا مُؤَدِّيًا .
وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ ؛ حُرُوفُهُ ، وَمَعَانِيهِ ^(٧) ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ الْحُرُوفُ دُونَ الْمَعَانِي ^(٨) ، وَلَا
الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ ^(٩) .

(١) سبق الكلام عن القرآن وصفة الكلام لله عز وجل .

(٢) سبق الكلام عن معناها .

(٣) سبب عدم إطلاق القول : لكي يخرج بذلك قراءة القارئ للقرآن وصوته فإنها ليست من كلام الله ، بخلاف
الحروف والمعاني فإنها من كلام الله .

(٤) أي القرآن .

(٥) الذين قالوا إنه حكاية هم الكلامية .

(٦) الذين قالوا إنه عبارة عن الكلام ودلالة عليه هم الأشعرية .

(٧) (والصواب الذي عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد
وغيره وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم إتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة وهو أن القرآن جميعه كلام
الله وحروفه ومعانيه ليس شيء من ذلك كلاما لغيره ولكن أنزله على رسوله ، وليس القرآن اسما لمجرد
المعاني ولا لمجرد الحرف بل لمجموعهما ، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا المعاني فقط كما
أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ولا مجرد الجسد بل مجموعهما) مجموع الفتاوى
٢٤٤/١٢ .

(٨) وهو مذهب المعتزلة والجهمية .

(٩) وهو مذهب الكلامية والأشعرية .

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ
الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ ^(١) كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا ^(٢)
سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرَ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي
عَرَصَاتٍ ^(٣) الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) .

(١) سبق الكلام على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الجنة .

(٢) في المخطوط: [دونها]، وكذا في (الفتاوى) .

(٣) جمع عَرَصَةٍ، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه .

(٤) أي على الصفة والطريقة التي يشاؤها الله .